سورة الجاثية بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾
وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ
فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ
فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا
كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾
مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾
هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ
فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

الادلة على وحدانية الله ١-٦

(حمٓ ﴿١﴾)يخبر تعالى خبرا يتضمن الأمر بتعظيم القرآن و الاعتناء به و أنه (تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ) المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال و انفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة و الحكمة التامة.

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية و النفسية مـــــــن:-

(إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ)و خلق ما تفرق في الأرض من دابة تَدِبُّ عليها(ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ)﴿٤﴾(وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ)و تعاقبهما عليكم (وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ)مطر

(فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا)بعد يُبْسها فاهتزت بالنبات و الزرع

(وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ)جَنُوبًا وَ شمالا وَ دَبُورًا وَ صَبًا بَحرِيَّةً وَ بَرِّيَّةً لَيْلِيَّةً وَ نَهَارِيَّةً وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلْمطَر وَ مِنْهَا مَا هُوَ لِلِّقَاحِ وَ مِنْهَا مَا هُوَ غِذَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ وَ مِنْهَا مَا هُوَ عَقِيمٌ لَا يَنْتِجُ (ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)﴿٥﴾

وَ قَالَ أَوَّلًا {لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ} ثُمَّ {ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ} ثُمَّ (ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)وَ هُوَ تَرَقٍّ مِنْ حَالٍ شَرِيفٍ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَ أَعْلَى.وَ هَذِهِ الْآيَاتُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ "الْبَقَرَةِ" وَ هِيَ قَوْلُهُ:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الْبَقَرَة: ١٦٤]

(تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ)الْقُرْآنَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَ الْبَيِّنَاتِ(نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ)مُتَضَمِّنَةً الْحَقَّ مِنَ الْحَقِّ فَإِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ لَا يَنْقَادُونَ لَهَا(فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ)أدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له (يُؤْمِنُونَ)يصدقون و يعملون؟٦

ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته و عدمه إلى قسميــــــــن:-

١-قسم يستدلون بها و يتفكرون بها و ينتفعون فيرتفعون و هـــــــم المؤمنون بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر إيمانا تاما وصل بهم إلى درجة اليقين فزكى منهم العقول و ازدادت به معارفهم و ألبابهم و علومهم. ٢-و قسم يسمع آيات الله سماعا تقوم به الحجة عليه ثم يعرض عنها و يستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم تزك قلبه و لا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه. و أنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال:(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ)كذاب في مقاله (أَثِيمٍ)في فعاله٧

و أن(يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ)تُقرأ عليه(ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا)عَلَى كُفْرِهِ وَ جُحُودِهِ اسْتِكْبَارًا وَ عِنَادًا (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا)كأنه ما سمعها (فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)فَأَخْبِرْهُ أَنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجِعًا٨ (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا)إِذَا حفظ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ كَفَرَ بِهِ وَ اتَّخَذَهُ سُخْرِيًّا وَ هُزُوًا

تهديد المكذبين بآيات ٧-١١

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَهَانَ بِالْقُرْآنِ وَ اسْتَهْزَأَ بِهِ

*مسلم (١٨٦٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ:«نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ»٩

(مِّن وَرَآئِهِمْ)أمامهم(جَهَنَّمُ)تكفي في عقوبتهم البليغة و أنه (وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا) من الأموال(وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ)و لا يغني عنهم آلهتُهم التي عبدوها من دون الله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا١٠

فلما بين آياته القرآنية و العيانية و أن الناس فيها على قسمين:-أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالية أنه هدى فقال: (هَٰذَا هُدًى) و هذا وصف عام لجميع القرآن

فـــــإنه يهـــدى إلى:-

١-معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة و أفعاله الحميدة٢-و يهدي إلى معرفة رسله و أوليائه و أعدائه و أوصافهم٣-و يهدي إلى الأعمال الصالحة ٤-و يدعو إليها و يبين الأعمال السيئة و ينهى عنها

٥-و يهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال٦-و يبين الجزاء الدنيوي و الأخروى

فالمهتدون اهتدوا به فأفلحوا و سعدوا

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ)الواضحة القاطعة التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه و تضاعف طغيانه

(لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ)عذابٌ مؤلم موجع مِن أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة١١

(ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ)يخبر تعالى بفضله على عباده و إحسانه إليهم بتسخير البحر

لسير المراكب و السفن بأمره و تيسيره(وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ)بأنواع التجارات و المكاسب(وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه و أثابكم على شكركم أجرا جزيلا١٢

من نعم الله على عباده و على عباد بنى اسرائيل ١٢-٢٢

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ)

كقوله{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النَّحْلِ: ٥٣] .

أي: من فضله و إحسانه، و هذا شامل لأجرام السماوات والأرض

و لما أودع الله فيهما من الشمس و القمر و الكواكب و الثوابت و السيارات و أنواع الحيوانات و أصناف

الأشجار و الثمرات و أجناس المعادن و غير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم و مصالح ما هو من ضروراته

فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته و أن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته و حكمه

و لهذا قال: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ)

و جملة ذلك أن خلقها و تدبيرها و تسخيرها دال على:-نفـــــوذ مشيئة الله و كمال قدرته

و ما فيها من الإحكام و الإتقان و بديع الصنعة و حسن الخلقة دال على:-كمـــــال حكمته و علمه

و ما فيها من السعة و العظمة والكثرة دال على :-سعـــــة ملكه و سلطانه

و ما فيها من التخصيصات و الأشياء المتضادات دليل على:-أنه الفعال لما يريد

و ما فيها من المنافع و المصالح الدينية و الدنيوية دليل على:-

سعة رحمته و شمول فضله و إحسانه و بديع لطفه و بره

و كل ذلك دال على أنه:-١-وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة و الذل و المحبة إلا له

٢-و أن رسله صادقون فيما جاءوا به فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا و لا شكا١٣

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾
هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ
كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟)يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق و الصبر على أذية المشركين به صْفَحُوا عَنْهُمْ و يَحْمِلُوا الْأَذَى مِنْهُمْ-هَذَا كَانَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ و أَهْلِ الْكِتَابِ لِيَكُونَ ذَلِكَ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ (لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ)لا يرجون ثوابه و لا يخافون وقائعه في العاصين-لَا يُبَالُونَ نِعَمَ اللَّهِ(لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا)فإنه تعالى سيجزي كل قوم (بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)

فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم و صفحكم و صبركم ثوابا جزيلا﴿١٤﴾

و هم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد و الخزي و لهذا قال:-

(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ)من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل

(وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا)و من أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى

(ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)تَعُودُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتُعْرَضُونَ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَيْهِ فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿١٥﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا)و لقد أنعمنا على (بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)نعما لم تحصل لغيرهم من الناس و آتيناهم

(ٱلْكِتَٰبَ)التوراة و الإنجيل(وَٱلْحُكْمَ)بين الناس (وَٱلنُّبُوَّةَ)التي امتازوا بها و صارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام أكثرهم من بني إسرائيل(وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ)

نعم الله على بنى اسرائيل١٦-٢٢

من المآكل و المشارب و الملابس و إنزال المن و السلوى عليهم (وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)في زمانهم

و يخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة :–فإنهم خير أمة أخرجت للناس ﴿١٦﴾

(وَءَاتَيْنَٰهُم)آتينا بني إسرائيل(بَيِّنَٰتٍ)دلالات تبين الحق من الباطل(مِّنَ ٱلْأَمْرِ) القدري الذي أوصله الله إليهم.و تلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى ﵇

فهذه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل تقتضي الحال أن :–

١–يقومـــــــوا بها على أكمل الوجوه ٢–و أن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم

و لكن انعكس الأمر فـــــ:– ١–عاملوهـــــــا بعكس ما يجب ٢–و افترقـــــوا فيما أمروا بالاجتماع به

و لهذا قال:–(فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ)الموجب لعدم الاختلاف(بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ)

و إنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض و الظلم.

(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فيميز المحق من المبطل

و الذي حمله على الاختـــــــــلاف:–الهـــــــوى أو غيــــــره ﴿١٧﴾

(ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ)ثم شرعنـــــــا لك شريعـــــــة كـــــــاملة:–

١–تـــــدعو إلى كل خير ٢–و تنهـــــى عن كل شر من أمرنا الشرعي

(فَٱتَّبِعْهَا)فإن في اتباعها السعادة الأبدية و الصلاح و الفلاح(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

أي:الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم و لا ماشية خلفه و هم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ هواه و إرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون

و في الآية دلالة عظيمة على :–

١–كمال هذا الدين و شرفه٢–وجوب الانقياد لحكمه ٣–ألا نميل إلى أهواء الكفرة و الملحدين ﴿١٨﴾

(إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا)لا ينفعونك عند الله فـــــــ:–

١–يحصلـــــــــوا لك الخير ٢–و يدفعـــــــوا عنك الشر [إن اتبعتهم على أهوائهم]

(وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ)المتجاوزين حدود الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ)من المنافقين و اليهود و غيرهم

(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ)أنصار بعض على المؤمنين بالله و أهل طاعته–و لا تصلح أن توافقهم و تواليهم فإنك و إياهم متباينون و بعضهم ولي لبعض

(وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ)ناصر المتقين ربَّهم بأداء فرائضه و اجتناب نواهيه ﴿١٩﴾

(هَٰذَا)القرآن الكريم و الذكر الحكيم(بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ)يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس

(وَهُدًى وَرَحْمَةٌ)فيحصل به الانتفاع للمؤمنين و الهدى و الرحمة

(لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ)بحقيقة صحته، و أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

فـــــــــــ:–

١–يهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين و فروعه٢–و يحصل به الخير و السرور و السعادة في الدنيا و الآخرة و هى الرحمة. فـــــــــــ:–١–تـــــزكو به نفوسهم ٢–و تـــــــزداد به عقولهم

٣–و يــــــزيد به إيمانهم و يقينهم٤–و تقـــــوم به الحجة على من أصر و عاند٢٠

(أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)عَمِلُوهَا وَ كَسَبُوهَا(أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

***نُسَاوِيهِمْ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ!

(سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ)في الدنيا و الآخرة؟يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ وَ الْكَافِرُونَ، كَمَا قَالَ:

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الْحَشْرِ: ٢٠]

(سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ)ساء ما ظنوا و حسبوا و ساء ما حكموا به

(أَنْ نُسَاوِيَ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَ الْفُجَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ فِي هَذِهِ الدَّارِ)

وَ قَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ:-

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}

فإنــــــه حكـــــــــمٌ:–

١–يخالف حكمة أحكم الحاكمين و خير العادلين ٢–و يناقض العقول السليمة و الفطر المستقيمة

٣–و يضاد ما نزلت به الكتب و أخبرت به الرسل

بــــــل الحكـــــــم الواقــــــع القطعـــــــى أن :–

١–المؤمنين العاملين الصالحات لهم:–النصر و الفلاح و السعادة و الثواب فى العاجل و الآجل كل على قدر إحسانه٢–و أن المسيئين لهـــــم:–الغضب و الإهانة و العذاب و الشقاء في الدنيا و الآخرة٢١

(وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ)بالحكمة و ليعبد وحده لا شريك له

(وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ)من خير أو شر

(وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ)جزاء أعمالهم-أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟٢٢

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً
فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ
وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟
ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

{أَفَرَءَيْتَ} الرجل الضال {مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ} فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. فائدة من القول المفيد

{وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية و لا يزكو عليها.

{وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ} فلا يسمع ما ينفعه {وَقَلْبِهِۦ} فلا يعي الخير {وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً} تمنعه من نظر الحق

{فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ} لا أحد يهديه و قـــــد :-

١-ســـــد الله عليه أبواب الهداية ٢-و فتـــــح له أبواب الغواية

و ما ظلمه الله و لكن هو الذي ظلم نفسه و تسبب لمنع رحمة الله عليه {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ما ينفعكم فتسلكونه

و ما يضركم فتجتنبونه كقوله{ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[الأعراف: ١٨٦] ﴿٢٣﴾

{وَقَالُوا۟} منكرو البعث {مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ}

إلا مرُّ الليالي و الأيام و طول العمر-أي:إن هي إلا عادات و جري على رسوم الليل و النهار يموت أناس و يحيا أناس- و ما مات فليس براجع إلى الله و لا مجازى بعمله

(وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ)و قولهم هذا صادر عن غير علم{ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} فأنكروا المعاد و كذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك و لا برهان.إن هي إلا ظنون و استبعادات خالية عن الحقيقة

*البخاري ٤٨٢٦ -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺقال:كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل و النهار و هو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه:

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى:-

يؤذيني ابن آدم يسب الدهرو أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل و النهار ﴿٢٤﴾

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا }الذين قد هلكوا(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)فيما تقولون ﴿٢٥﴾

{قُلِ }أيها الرسول-لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث:(اللَّهُ)سبحانه و تعالى (يُحْيِيكُمْ)في الدنيا ما شاء لكم الحياة(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ)فيها—و إلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم لعملوا له أعمالا و تهيئوا له

كقوله{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الْبَقَرَة: ٢٨]

أَي: الَّذِي قَدَرَ عَلَى الْبُدَاءَةِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى.

{ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ }ثم يجمعكم جميعا أحياء إلى يوم القيامة

(لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ){وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }قدرة الله على إماتتهم ثم بعثهم يوم القيامة ﴿٢٦﴾

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)خَلْقًا و مُلْكًا و عبودية—يخبر تعالى عن سعة ملكه و انفراده بالتصرف و التدبير في جميع الأوقات و أنه{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ } و يجمع الخلائق لموقف القيامة

(يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ)يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق و كانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقه بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق و اضمحلت عنهم و فاتهم الثواب و حصلوا على أليم العقاب ﴿٢٧﴾

*ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة و هوله ليحذره العباد و يستعد له العباد فقال:

{وَتَرَىٰ }أيها الرائي لذلك اليوم {كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً }على ركبها خوفا و ذعرا و انتظارا لحكم الملك الرحمن.

*الترمذي ت شاكر ٢٣٨٢-عن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ.......فقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَ كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ.......

{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا }كَقَوْلِهِ:{وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ}[الزُّمَر: ٦٩]

إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله،و هل قاموا بها فيحصل لهم الثواب و النجاة؟

أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ ○فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى○و أمة عيسى كذلك

○و أمة محمد كذلك و هكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به

و يحتمل أن المراد بقوله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}إلى كتاب أعمالها و ما سطر عليها من خير و شر

(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)و أن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه ﴿٢٨﴾

○و يحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية و يدل على هذا قوله:{هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ }
هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل-يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَ لَا نَقْصٍ كَقَوْلِهِ{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الْكَهْفِ: ٤٩]

{إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ }إنّا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم ٢٩

{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ }

إيمانا صحيحا و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات و مستحبات

{فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ }التي محلها الجنة و ما فيها من النعيم المقيم و العيش السليم

*البخاري ٤٨٥٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" تَحاجَّتِ الجَنَّةُ وَ النَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ المُتَجَبِّرِينَ،وَ قَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعالَى لِلْجَنَّةِ:-أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَ يُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَ لاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَ أَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا

{ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ }أي:المفاز و النجاة و الربح و الفلاح (ٱلۡمُبِينُ)الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير و اندفع عنه كل شر{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ }بالله فيقال لهم توبيخا و تقريعا:–

{أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ }و قد دلتكم على ما فيه صلاحكم و نهتكم عما فيه ضرركم و هي أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها{ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ }و لكن استكبرتم عنها و أعرضتم و كفرتم بها فجنيتم أكبر جناية

(وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ)و أجرمتم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون ٣١ و يوبخون أيضا بقوله:

{ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم }منكرين لذلك:–{مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ }ما نعرفها

(إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا)ما نتوقع وقوعها إلا توهمًا(أى مرجوحا)(وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ)

و ما نحن بمتحققين أن الساعة آتية فهذه حالهم في الدنيا و حال البعث الإنكار له و رد قول من جاء به ٣٢

*جاء في القول المفيد:-

لأن تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي لأن المعاصي صادرة عن الهوى و هذا نوع من الشرك

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ
مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا}ظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم{وَحَاقَ بِهِم}نزل{مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به و بوقوعه و بمن جاء به﴿٣٣﴾

{وَقِيلَ الْيَوْمَ}نتركم في العذاب—نعاملكم معاملة الناسي لكم في النار{نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا}

فإن الجزاء من جنس العمل {وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}مقركم و مصيركم

{وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ}ينصرونكم من عذاب الله و يدفعون عنكم عقابه﴿٣٤﴾

{ذَٰلِكُم} الذي حصل لكم من العذاب

*صحيح مسلم (٢٩٦٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي،ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَ أُزَوِّجْكَ، وَ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَ الْإِبِلَ، وَ أَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَ تَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ:يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَ يُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ،فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَ يَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ:-انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَ ذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ "(١)

---

١ (أي فل) معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس وقيل هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي
(أسودك) أي أجعلك سيدا على غيرك
(ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم
(تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا
قال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته عندي أن معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها
(ههنا إذا) معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا
(ليعذر) من الإعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به

{بـ} سبب{بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا } مع أنها موجبة للجد و الاجتهاد و تلقيها بالسرور و الاستبشار و الفرح.

{وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ } بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأننتم إليها،و عملتم لها و تركتم العمل للدار الباقية.

{فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ }و لا يمهلون و لا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا–لا يطلب منهم العُتبي بل يعذبون بغير حساب و لا عتاب كما تدخل طائفة الجنة بغير حساب و لا عذاب(٣٥)

{فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ }كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه{رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }

أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم و رباهم و أنعم عليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة(٣٦)

{وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ }له الجلال و العظمة و المجد.فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال و محبته تعالى و إكرامه والكبرياء فيها عظمته و جلاله و العبادة مبنية على ركنين :–١–محبة الله ٢–و الذل له و هما ناشئان عن العلم بمحامد الله و جلاله و كبريائه–

*مسلم ٢٦٢٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَ الْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ

{وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ }القاهر لكل شيء{ٱلۡحَكِيمُ }الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة و مصلحة و لا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة و منفعة(٣٦)